المحاضرة الاولى :

الاسم الممنوع من الصرف : هو الاسم الذي لا ينون (لا يقبل التنوين)

ينقسم الاسم الممنوع من الصرف إلى قسمين :
أولا :- ممنوع من الصرف لعلتين أو سببين وهي كما يلي :-
السبب الأول الرئيسي هو العلمية ومعه ستة أسباب فرعية .
١) العلمية والعجمة : أي اسم اعجمي ممنوع من الصرف : مثل إسماعيل ، آدم ، يوسف ، يعقوب ...

٢) العلمية والتأنيث : أي اسم منتهي بتاء تأنيث ممنوع من الصرف سواء كان اسم رجل مثل أسامة حمزة أو اسم مكان مثل مكة وجدة وعنيزة أو اسم امرأة مثل عائشة وخديجة كذلك الأسماء المؤنثة بغير التاء بشرط أن تكون أكثر من ثلاثة حروف مثل عبير وتغريد .
٣) العلمية ووزن فُعل أي كل اسم على وزن فُعل مثل عُمر ومُضر وزُحل وهُبل وهكذا .

٤) العلمية وزيادة الألف والنون أي كل اسم آخره ألف ونون مثل سلمان وعثمان ونجرن وجيزان وعمان .

٥) العلمية والتركيب المزجي مثل بعلبك وحضرموت .

السبب الرئيسي الثاني هو الوصفية ومعه ثلاثة أسباب فرعية :
١) الوصفية وزيادة الألف والنون على (فعلان) مثل : جوعان وعطشان وفرحان وزعلان .
٢) الوصفية ووزن أفعل : أحمر وأزرق وأبيض (كل الألوان) أسعد وأكبر وهكذا .
٣) الوصفية ووزن فُعل (أُخر) .

ثانيا :- ممنوع من الصرف لعلة واحدة (لسبب واحد) و هي كالتالي :
صحراء ، شقراء ، علياء ، هيفاء ، شفعاء ، خضراء ،غناء ، بيضاء .مختوم بألف تأنيث ممدودة .
بشرى ، ذكرى ، منتهى ، نجوى ، جرحى ، بردى ، كبرى ، صفوى ، وسطى. مختوم بألف تأنيث مقصورة .
مساجد ،منازل ، ملاعب ، مدارس، مصانع ، حدائق ، معاهد ، بلابل مواهب . صيغة جمع تكسير صيغة (مفاعل) .
مصابيح ، محاريب ، عصافير ، ميادين ، تلاميذ ، دنانير ، صناديق ، تماثيل ،عناقيد . صيغة جمع تكسير صيغة (مفاعيل) .
ملاحظة : تعد (مفاعل و مفاعيل) من صيغ منتهى الجموع ،
والمقصود بـــ ((صيغة منتهى الجموع)) هي كل جمع تكسير ثالثه ألف وبعد الألف حرفان أو ثلاثة أحرف أوسطها ياء ساكنة . بقي أن أوضح معنى العلمية و هي الأسماء أما الوصفية فهي الصفات .

المحاضرة الثانية :

اغرب الجموع في اللغة العربية ...
تزخر اللغة العربية بجموع غريبة ، ربما لا يعرفها الكثير منا ، لندرة اللجوء إليها في أحاديثنا اليومية ، ومنها :

الكلمة	الجمع
١- غضنفر	غُضَافِرُ
٢- سفرجل	سفارج
٣- عَـندَلِيبٌ	عَنَادِلٌ/عَـنَادِيبٌ
٤- أَخْطُبُوط	أخَاطِب
٥-قنطار	قناطير (هو وحدة قياس يستخدم في قياس الكتلة)
٦- إمْبرَاطُورٌ	أَبَاطِرَةٌ
٧- عُقاب	أَعْقُب و عِقْبان
٨- رغيف	أَرغِفَة و رُغُف و رُغْفان
٩- أرانية (الإرانُ الثورُ الوحشيُّ لأنه يُوَارِنُ البقرةَ أَي يطلبُها)	أرانٍ
١٠- لُجين (الجينات)	لجج
١١- فردوس	فراديس
١٢- نرجسه (نبات)	نرجس
١٣- إلَّي (نِعَمٌ كثيرة)	آلاء
١٤- ياقوت	يواقيت
١٥- كَرَوَانٌ	كَرَاوِينٌ
١٦- دَلْــوٌ	دِلَاءٌ - دُلِــيٌ
١٧- حرباء (دابة من الزواحف)	حرابيّ
١٨-مدير	مدراء
١٩- دوام	دوائم
٢٠ - نـهج	نَـهجاتٌ ونُهُجٌ ونُهوجٌ
٢١- حمد	تحاميد
٢٢- رجب	الرَّجابُ
٢٣- ربيع	أرْبِعَةٌ

المحاضرة الثالثة :

من انواع التوابع ((العطف))

العطف تابع يتوسط بينه وبين متبوعه حرف من حروف العطف . نحو : حضر خالد وأحمد . أحمد معطوف على خالد بحرف العطف وهو " الواو " . ولا يتبع المعطوف المعطوف عليه إلا في الإعراب .

حروف العطف : ١- الواو ، ٢- الفاء ، ٣- ثم ، ٤- حتى ، ٥- أم ، ٦- أو ، ٧- لا ، ٨- بل ، ٩- ولكن .

معاني حروف العطف :

١ . الواو : لمطلق الجمع دون التقيد بترتيب . نحو : فاز خالد ومحمد .

نلاحظ من المثال السابق أن العطف بالواو أفاد مطلق الجمع ، لأنها دلت على أن العامل وهو " المجيء " قد وقع على المعطوف والمعطوف عليه في آن واحد ، وقد تحتمل الترتيب كما في : وقوله تعالى : { إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان ما لها } . وقد يفهم من العطف بالواو عكس الترتيب كقوله تعالى مخبرا عن منكري البعث : { ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا } . ولو كانت الواو في الآية السابقة للترتيب ، لكان ذلك اعترافا من منكري البعث بالحياة بعد الموت .

٢ ـ الفاء : تفيد العطف مع الترتيب والتعقيب . أي العطف بلا مهلة أو تراخ . نحو : دخل المعلم فالطالب . أفادت الفاء أن دخول الطالب جاء بعد دخول المعلم مباشرة وبلا مهلة أي بدون تعقيب .

وإذا قلت : دخلت جدة فمكة . فمن المتعارف عليه أن القادم من جهة البحر ، لا بد أن يدخل مكة بعد دخوله جدة ، متأخرا عما جرت عليه العادة من استغراق الوقت ، فيكون ذلك تراخيا ، وفي هذه الحالة تكون الفاء للترتيب والتراخي . وقد تفيد الفاء معنى التسبب، وفي هذه الحالة يعطف بها جملة على جملة . ومنه قوله تعالى : { فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه } .

٣ ـ ثم : تفيد العطف مع الترتيب والتراخي ، أي بمهلة .

نحو : درست النحو ثم الأدب . وحضر الطالب ثم والده .

نلاحظ أن المعطوف وهو " الأدب " وقع بعد المعطوف عليه بترتيب وتراخ ، أو مهلة ، بمعنى أن الدراسة للنحو والأدب تمت في آن واحد ، ولكن أحدهما وهو المعطوف عليه قد تمت دراسته أولا ، ثم تلاه بعد فترة دراسة المعطوف .

ومنه قوله تعالى : { والله خلقكم من تراب ثم من نطفة } . أي كان الخلق أولا لآدم من التراب ، وهو المعطوف عليه ، ثم لبني آدم من النطفة ، وهو المعطوف ، وقد تأخر خلق بني آدم عن أبيهم . والله أعلم .

٤ ـ حتى : تفيد الغاية والتدريج . نحو : أكلت السمكة حتى رأسها . ومات الناس حتى الأنبياء . فحتى هنا تفيد نهاية الشيء بعد تدريجه إلى أن يصل إلى منتهاه ، فعندما قلنا : أكلت السمكة حتى رأسها ، أي : أنني تدرجت في أكلها حتى وصلت إلى رأسها فأكلته ، وفي هذه الحالة تكون حتى حرف عطف ، والمعنى : أكلت السمكة ورأسها . لذلك يجب أن يكون المعطوف جزاء من المعطوف عليه .

أما إذا صح أن نضع في موضعها حرف الجر " إلى " فهي عندئذ حرف جر ليس غير . نحو : قرأت الصحيفة حتى الصفحة الأخيرة . أي : قرأت الصحيفة إلى الصفحة الأخيرة . وقد تأتي " حتى " حرف ابتداء ، وما بعدها جملة مستأنفة .

كقول الشاعر : فما زالت القتلى تمج دماؤها بدجلة حتى ماءُ دجلة أشكلُ

فحتى في البيت السابق حرف ابتداء ، وماء مبتدأ ، ودجلة مضاف إليه ، وأشكل خبر ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها من الإعراب .

وتدخل حتى على الأفعال الماضية والمضارعة ، وفي هذه الحالة ينصب الفعل بعدها بـ " أن " المصدرية . نحو : عاقبت الكاذب حتى يقول الصدق .

٥ ـ أو : وتفيد مع العطف عدة معاني .

أ ـ تفيد التخيير . نحو : خذ من الحقيبة قلما أو كراسا . وتزوج زينب أو فاطمة . ومنه قوله تعالى : { فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة } .

ب ـ تفيد الإباحة . نحو : عاشر محمدا أو أخيه . وجالس عليّا أو أحمد .

ومنه قوله تعالى : { ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم } .

ج ـ تفيد التقسيم . نحو : الكلمة اسم أو فعل أو حرف .

د ـ تفيد الشك إذا لم تعلم القادم في قولك : قدم محمد أو أحمد .

ومنه قوله تعالى : { لبثنا يوما أو بعض يوم } .

هـ . تفيد التشكيك إذا علمت القادم في قولك : ذهب عليّ أو سالم . ومنه قوله تعالى : { وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين } .

٦ . أم : تفيد العطف وطلب التعين بعد الهمزة ، سواء أكانت الهمزة للاستفهام ، أم للتسوية . فمثال مجيئها بعد همزة الاستفهام : أقرأت القصة أم القصيدة ؟

وذلك إذا كنت تعلم بأن أحدهما قد قرئ ، ولكن داخلك الشك في ذلك ، ولهذا يكون الجواب بالتعيين . أي : قرأت القصيدة ، مثلا ، وفي هذه الحالة تسمى " أم " المعادِلة ، لأنها عادلت الهمزة في الاستفهام بها . ومنه قوله تعالى : { أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون } .

ومثال مجيئها بعد همزة التسوية : سأنتظرك سواء أحضرت أم لم تحضر . وتسمى : " أم " بالمتصلة لوقوعها بعد همزة التسوية ، ويكون ما قبلها وما بعدها لا يستغني بأحدهما عن الآخر . ومنه قوله تعالى : { سواء علينا أجزعنا أم صبرنا } . وقوله تعالى : { سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم }.

وإذا وقعت : " أم " بعد هل الاستفهامية سميت بالمنقطعة ، لأنها تفيد الإضراب . نحو قوله تعالى : { هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور } . وقوله تعالى : { لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه } .

ومزايا " أم " المتصلة :

أنه يعطف بها مفرد على مفرد ، وجملة على جملة ، أما " أم " المنقطعة فلا يعطف بها إلا جملة على جملة كما هو واضح في الآية الأخيرة .

٧ . بل : تفيد الإضراب ، ويكون المعطوف بها مفردا ، كما يعطف بها بعد الإيجاب ، والنفي ، وبعد الأمر والنهي . نحو : سافر خالد بل محمد . وما حضر أحمد بل أخوه . ونحو : أحترم والدك بل معلمك . ولا تصاحب محمودا بل خليلا .

٨ . لا : تفيد العطف مع نفي الحكم الثابت لما قبلها عما بعدها ، لذلك لا يجوز العطف بها إلا بعد الإثبات . نحو : اشتريت لحما لا سمكا . وقرأت نحوا لا أدبا . وزارني محمّد لا أحمد .

٩ . لكن : تفيد العطف مع الإضراب ، مثل بل تماما ، ولا يجوز العطف بها إلا بعد النفي ، أو النهي . نحو : ما قرأت التاريخ لكن العلوم . وما شربت العصير لكن اللبن . ونحو : لا تشرب القهوة لكن الشاي . ولا تسافر في الليل ولكن في النهار .

المحاضرة الرابعة :

العصر الجاهلي :

وهو العصر الذي سبق ظهور الاسلام بمائة وخمسين سنة تقريبا ، وهي غير الجاهلية الاولى ، الوارد ذكرها في القرآن الكريم ، لان الجاهلية الاولى فسرت بين عهد نوح وعهد ادريس عليهما السلام ، وقد سمي هذا العصر باسمه هذا نقلا عن القرآن الكريم والحديث الشريف ، لان القوم كانوا جهلة من الوجهة الدينية ، والخلقية ، وان كانوا قد بلغوا من الحضارة ما بلغوا ، وهذا كان عن بلاد اليمن لكن العرب في الشمال الذين ورثنا عنهم لغتنا ، وأدبنا وقوميتنا كانوا اميين ، لذلك لم يدوّن ادبهم ، ولا سجّل تاريخهم ، الا في العصر العباسي ، وليس بعيدا ان يكون قد دخل في ذلك الادب ، وفي هذا التاريخ بعض الزيادات ، وليس بعيدا ان يكون قد نُسي من الادب او ضاع من التاريخ شيء كثير لو عرفناه لكان مساعدا لنا على الدقة والعمق في الحكم على هذا العصر ، وما وصلنا من الادب ومن ذلك التاريخ كافٍ لكي يصور لنا حياة هؤلاء القوم وتقاليدهم وعباداتهم واتجاهاتهم النفسية ، فقد كان شعراء الجاهلية ينظمون القصائد للمفاخرة بانسابهم وبشجاعتهم ، وشعر الجاهليين يصور بصدق حياتهم البدوية في اقامتهم وفي رحيلهم ، يصور خيلهم وابلهم واسلحتهم ، وافتخارهم

بكرمهم وبآبائهم واجدادهم ، يصور افتخارهم بامور نهى عنها الاسلام لا بل عدَّها جرائم ، كافتخارهم بشرب الخمر ، ومما يدل على اعتزازهم باشنع جريمة عرفتها الانسانية (الوأد) ، اما افتخارهم بطلب الثأر فامر مشهور .

مميزات الشعر الجاهلي : الصدق في التصوير ، تمثيله للطبيعة وللحياة البدوية ، الوضوح والبساطة ، ولهذا السبب كثر الانتحال في الشعر الجاهلي .

المعلَّقات : كان الشعر هو الغالب في الجاهلية وكان للشاعر اعظم قيمة في مجتمعه ، لذا كثر الشعر والشعراء وقلَّ النثر ، لان الشعر ملازم لطفولة المجتمع ، وافضل ما أُثر لنا من ادب العصر الجاهلي هو "المعلقات" .

مطالع المعلقات :

١- معلقة أمرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

٢- معلقة طرفة بن العبد :

لخولة اطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

٣- معلقة زهير بن ابي سلمى :

امن ام اوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم ؟

٤- معلقة لبيد بن ابي ربيعة :

عفت الديار محلها فمقامها بمنىً تأبد غولها ورجامها

٥- معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي :

الا هبي بصحنك ، واصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا

٦- معلقة عنترة بن شداد :

هل غادر الشعراء من متردم ام هل عرفت الدار بعد توهم

٧- معلقة الحارث بن حلزة اليشكري :

آذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يملُّ منه الثواء

دراسة في معلقة أمرئ القيس : هي قصيدة مؤلفة من اثنين وثمانين بيتا على اشهر الروايات ، وبعضهم يجعلها ثمانين بيتا ، يُضرب بمطلعها المثل ، فيقال : " اشهر من قفا نبك " وزنها البحر الطويل ، قافيتها اللام المكسورة ، غرضها الاساسي " ذكرى نزهة له في موضع اسمه دارة جُلْجُل ، خرجت اليه ابنة عمه عُنيزة التي يدعوها احيانا فاطمة هي وصواحبها ، فلحق الشاعر بهن ، فلما جاءت عُنيزة وصواحبها ، نحر لهن ناقته ، وقضى معهن يومه ، وقد سجل هذه الذكرى في معلقته" ، لكنه لم يكتف بها بل حشَّد معلقته ذكريات كثيرة ، استطرد منها الى وصف الليل والفرس والصيد والبرق والمطر في جبال نجد ، وهي عادة من التشرد الفكري او حشد الذكريات التي الفتها الجاهلية .

١) أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ وَلاَ سِيَّمَا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلِ

٢) ويَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَي مَطِيَّتِي فَيَا عَجَباً مِنْ كُوْرِهَا المُتَحَمَّلِ

٣) ويَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فَقَالَتْ لَكَ الوَيْلاَتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي

٤) أَفاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

خلاصة المعلقة : يستهل معلقته باستيقاف الصحب واستبكائهم ، وقد دهش النقاد بنصف بيت مطلع معلقته : " قفا نبكي من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ " فلقد بكى واستبكى ، ووقف واستوقف ، وذكر الاحبة ، ثم وصف الليل وصفا ساحرا :

١) ولَيلٍ كَمَوجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدولَهُ عَليّ بأَنْواعِ الهُمُومِ ليَبتَلي

٢) فَقُلْتُ لَهُ لمّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجازاً ونَاءَ بِكَلْكَلِ

٣) أَلا أَيُّها اللّيلُ الطّويلُ ألا انْجَلِ بِصُبْحٍ، وما الإصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
٤) فَيا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدّتْ بِيَذْبُلِ

ثم وصف الوادي المقفر يعوي فيه الذئب بعد ان وصف فرسه ذلك الوصف الذي ركّز فيه من الصور الفنية ما عجز عنه الشعراء ، حين قال :

١) مِكرٍّ مِفَرٍّ مقبلٍ مدبرٍ مَعاً كجلمودِ صخر حطَّهُ السّيْلُ من عَلِ
٢) لَهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ وَساقَا نَعَامَةٍ، وإرْخَاءُ سِرْحانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

مميزات شعر أمرئ القيس : اتقان الوصف ، سرعة الخاطر وجزالة اللفظ والابتكار في مؤاخاة الالفاظ ، القدرة على جمع الصور الكثيرة في البيت الواحد والقدرة على ابراز اعمق العواطف ، ظهور عناصر الترف في شعره ، سبق الشعراء الى تشبيه النساء بالمها والظباء وبيض النعام .

المحاضرة الخامسة :

الفرق بين الفصاحة والبلاغة؟

الفصاحة ، تعني خلوص الكلام من كل تلك العيوب التي قد تجعله ثقيلا متنافرا ، أو مبهما غير مستبين المعنى. والفصاحة توصف بها الكلمة المفردة والكلام المركّب والمتكلّم، فيقال لفظة فصيحة وكلام فصيح ورجل فصيح.

أما البلاغة فيُنعت بها الكلام والمتكلّم فقط ، فيقال : كلام بليغ ورجل بليغ.

وبين الفصاحة والبلاغة عموم وخصوص ، فالبلاغة أخص والفصاحة أعم، لذا فإن كل كلام بليغٍ فصيح بالضرورة، بيد أن ليس كلّ فصيح بليغا . يتبيّن لنا من هذا أن الكلام لا يكون بليغا حتى يكون فصيحا لوجوب توفّر شرط الفصاحة فيه ، وأنه قد يكون فصيحا حتى إذا لم يكن بليغا ، لعدم أخذ البلاغة في تحديده شرطا .

الفصاحة والبلاغة لغةً واصطلاحًا

البلاغــة لغة:

الوصول والانتهاء إلى الشيء يقال بلغ فلان مراده إذا انتهى إليه . قال تعالى: (ولّما بلغ اشدَّه) أي : وصل ، وبلغ الراكب المدينة : إذا وصل إليها ، ومبلغ الشيء : منتهاه .

وعرفها ابن المقفع قائلا: " البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون جوابا ، ومنها ما يكون شعرا ، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل . فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي منها ، والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو: البلاغة.

وتنبه عبد القاهر الجرجاني في كتابه" دلائل الإعجاز" إلى العلاقة الوثيقة بين الألفاظ والمعاني ، فرأى أن البلاغة أو الجمال الفني ، ليس في الألفاظ والمعاني ، ورآها في التراكيب ، أو في العلاقة القائمة بين الألفاظ في العبارات ، وما ينتج من هذه العلاقات من معان ، وقد سمَّى عبد القاهر هذه العلاقات " النظم"

وقد تناول بعض الدارسين المُحدثين مفهوم البلاغة من حيث الاصطلاح، فقالوا : " أما البلاغة فهي تأدية المعنى الجليل بعبارة صحيحة ، لها في النفس أثر خلاب مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه ، والأشخاص الذين يُخاطبون.

اصطلاحاً : هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال . أو هي سوق الكلام الفصيح على مقتضى الحال بحسب المقامات.

أركان البلاغة :

البلاغة في الكلام مرجعها إلى ثلاثة أشياء :

٠١/الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، وهو المصطلح عليه : بعلم المعاني . وعرَّفه السكاكي بأنه : تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال .

٠٢/تمييز الكلام الفصيح من غيره ، وهو المصطلح عليه : بعلم البيان . وهو كما قال الجاحظ : اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى . قال الله تعالى : (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) وقال النبي الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه : أن من البيان لسحرا . وقال ابن المعتز : البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول . ومدار علم البيان الذوق السليم الذي هو أنفع من ذوق التعليم .

٠٣/ما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته ، وهو ما يُعرف بـ علم البديع .

تعريف الفصاحة لغةً واصطلاحاً :

الفصاحة لغة : تطلق الفصاحة في اللفظ على معانٍ كثيرة منها: البيان ، والظهور ، والانكشاف ، ومنه قال عز وجل: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي } القصص (آية : ٣٤) . أي : أبين مني منطقا ، وأظهر مني قولا.

يقال : أفصح الصبي في منطقة، إذا بان وظهر كلامة

وقالت العرب: أفصح الصبح : إذا أضاء

وأفصح الأعجمي : إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين.

الفصاحة في الاصطلاح : هي الألفاظ البينة الظاهرة المتبادرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال لمكان حسنها، وهي تقع وصفا للكلمة ، أو الكلام والمتكلم. ومعظم علماء البلاغة لا يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمالا الشيئين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما، ومن هؤلاء العسكري في "الصناعتين"، والفخر الرازي في " نهاية الإيجاز"

ويشهد لذلك قول الجوهري في "الصحاح " : الفصاحة البلاغة. على أن معظمهم يرى أن الفصاحة : صفة اللفظ، وأن البلاغة: صفة للمعنى مع اللفظ، والمعنى أن الكلام لا يكون بليغا إلا إذا كان فصيحا في الوقت نفسه. فلا بد لأي كلام بليغ أن تكون ألفاظه فصيحة، وقد يكون الكلام فصيحا وهو غير بليغ إذا لم تتناسب الكلمات الفصيحة مع المقام الذي قيلت فيه.

فصاحة الكلمة

فصاحة الكلمة هي : خلوص الكلمة من الأمور التالية :

١. من تنافر الحروف ، بأن لا تكون الكلمة ثقيلة على السمع ، صعبة على اللسان ، فنحو (هعخع): اسم نبات ترعاه الإبل ، متنافر الحروف .

٢. ومن غرابة الاستعمال ، وهي كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ، ولا مألوفة الاستعمال عند العرب ، حتى لا يفهم المراد منها ، لاشتراك اللفظ، أو للإحتياج الى مراجعة القواميس ، فنحو (مسرّج) و(تكأكأتم) غريب .

قال الشاعر: ومقلةً وحاجباً مرجّجا وفاحماً، ومرسِناً مسرّجاً

وقال عيسى بن عمرو النحوي حين وقع من حماره واجتمع عليه الناس . (ما لكم تكأكأتم عليّ ، كتكأكئكم على ذي جنة ، إنفرقعوا عنّي) .

٣. ومن مخالفة القياس: بأن تكون الكلمة شاذة ، على خلاف القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب ، فنحو (الاجلل) مخالف للقياس، والقياس (الأجل) بالإدغام.

قال أبو النجم : الحمد لله العلي الاجلل الواحد الفرد القديم الأول

٤. ومن الكراهة في السمع ، بأن تكون الكلمة وحشية ، تمجّها الأسماع ، كما تمجّ الأصوات المنكرة ، نحو(الجرشى) بمعنى: النفس .

قال المتنبي : مـبارك الاسم أغـرّ اللقبْ كريم الجرشّى شريف النسبْ

والحاصل : انـه إذا كان في الكلمة شيء من هذه الأربعة ، كانت غير فصيحة ، فاللازم على الفصيح اجتناب هذه الأمور.

فصاحة الكلام

فصاحة الكلام هي : خلوص الكلام من الأمور التالية :

١. من عدم فصاحة بعض الكلمات ، فإذا اشتمل كلام على كلمة غير فصيحة ـ كما تقدّم ـ سقط الكلام عن الفصاحة .

٢. ومن تنافر الكلمات المجتمعة ، بأن يكون بين كلماته تنافراً ، فتثقل على السمع ، وتَعسر على النطق ، نحو هذا البيت :

وقبر حرب بمكان قفرُ وليس قربَ قبر حرب قبرُ

٣. ومن التعقيد اللفظي ، بأن تكون الكلمات مرتّبة على خلاف ترتيب المعاني .

قال المتنبي:

جفختْ وهم لا يجفخون بها بهم شيمٌ على الحسب الأغر دلائل

والأصل: جفخت بهم شيمٌ دلائل على الحسب الاغرّ وهم لا يجفخون بها.

٤. ومن التعقيد المعنوي : بأن يكون التركيب خفي الدلالة على المعنى المراد بسبب ايراد اللوازم البعيدة ، المحتاجة الى إعمال الذهن ، حتى يفهم المقصود.

قال عباس بن الاحنف:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

والمقصود بجمود العين: الفرح والسّرور الموجب لعدم البكاء ، وهذا خلاف المعنى المتفاهم.

٦. ومن كثرة التكرار، بأن يكرر اللفظ الواحد ، فيأتي به مرتين أو أكثر.

قال ذو الرمة، وقيل رؤبة بن العجاج، وهو في الاخير :

إني وأسطارْ سُطِرْنَ سَطْرَا لَقَائِلٌ : يا نَصْرُ نَصْرَاً نَصْرَا

والحاصل:

انه إذا كان في الكلام أحد هذه الأمور السبعة كان غير فصيح.

المحاضرة السادسة :

المطر في شعر السياب

تمهيد

في الرابع والعشرين من كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩٦٤ ، والعالم يحتفل بميلاد رسول السلام السيد المسيح ، رحل عن الساحة الأدبية العربية (الشعرية) أحد أبرز أعلامها، الرائد – المدرسة بدر شاكر السياب . فقبل اثنين وأربعين عاماً رحل السياب وهو بعد في أوج شبابه وتألقه ، ورغم عمره الزمني القصير (مات عن ثمان وثلاثين سنة) ، لكنه ترك نتاجاً شعرياً ثرياً . رحل بعد أن أرسى دعائم حركة تجديدية في الشعر العربي ، هي حركة الشعر الحديث (شعر التفعيلة)

، تاركاً فيها بصماته الواضحة التي سرى تأثيرها على أجيال من الشعراء ممن عاصروه أو ممن جاءوا بعده . وسواء انطلقت هذه الحركة من العراق أو من غيره ، وسواء كان السياب هو أول من كتب القصيدة الحديثة أو غيره ، إلا أنه يُعد الرائد الحقيقي لهذه الحركة لما قدمه من تجديد في القصيدة العربية شكلاً ومضموناً .

وإذا اعتادت الأمم أن تعيد ذكرى نوابغها بإقامة المهرجانات الثقافية ، وعقد الندوات ، وإلقاء المحاضرات ، ونشر البحوث التي تسهم في إلقاء الضوء على حياتهم وإنتاجهم ، فالسياب كأحد أبرز الشعراء العرب النوابغ ، ليس شاعراً عادياً يمر عليه الدارسون مرور الكرام ، إنه ظاهرة أدبية مهمة ، بها عبر الشعر العربي إلى مرحلة جديدة في تاريخ تطوره ، ومعها جاس آفاقاً فكرية جديدة ، وأنماطاً متنوعة من التعبير ، وهو بعد ذلك مدرسة شعرية مهمة في حركة الشعر العربي تخرج فيها كبار الشعراء اليوم ، بل حتى في شعر الشعراء الشباب اليوم نجد نفساً سيابياً (ظاهراً أو مستتراً) ، فلا أقل – في ذكرى رحيله – من أن نتجول بين قصائده ، ونلقي شيئاً من الضوء على نتاجه الشعري المتعدد الجوانب .

في هذه الدراسة سنحاول أن نتلمس مفهوم المطر في شعر السياب ، فلطالما غنَى السياب كثيراً للمطر ، غناه بكل براءة الطفولة ، وبكل رومانسية المراهقين ، وبكل معاناة الملتزمين، وبكل احتضار الراحلين ، حتى باتت مناجاته للمطر ترنيمة يرددها في كل شعره ،أو أنشودة يعزفها في كل قصائده . ولا عجب أن سمَى السياب أحد أهم دواوينه (أنشودة المطر) ، ذلك المطر الوديع – القاسي ، الجميل – المتوحش ، القوي – الضعيف ، المُحي – المُميت ، النقي – المدنس ، الخير – المدمر . غير أن المطر لم ينس شاعره المُحب ، فكان مع القلائل الذين ودعوا الشاعر عند حافة القبر يبكي مُغنيه (كان المطر يهطل – رذاذاً – حين دُفن الشاعر) ، وفي سنة ١٩٧١ حين تجمع أدباء وشعراء الوطن العربي في البصرة في مهرجان تخليدي ، واحتشدوا في مدخل شارع الكورنيش المطل على شط العرب ليزيحوا الستار عن تمثال السياب ، أبى المطر إلا أن يشاركهم احتفالهم (كان المطر يهطل في تلك اللحظة أيضاً) .

والسياب ذلك القروي القادم من أعماق الريف البصري قد عشق الطبيعة عشقه للحياة ، وعشقه للأرض . عشق السياب جيكوره ؛ تلك القرية الوادعة على ضفاف شط العرب الخالد ، عشق ناسها ، تربتها الخصبة ، خضرتها الممتدة، نخيلها الباسقات، نهرها الصغير(بويب) . ويكبر السياب ، وينضج الوعي ، فتكبر جيكور لتكون العراق وفلسطين وبور سعيد والجزائر. ويتسع نُهيرها الصغير (بويب) ليصير دجلة والفرات والنيل وبردى . وتتعمق الدائرة أكثر ليكون الإنسان هو الهم الأول والأخير ، هو قابيل الجاني ومسيح السلام ، هو حفار القبور والمومس العمياء المضطهدَين ، هو سندباد الغربة والضياع ، وهو أيوب الصابر . وهو بعد ذلك أو قبل ذلك الإنسان الذي ينتظر المطر ليطهره ، ليخصب الأرض ويوزع الخيرات ، ليمحق الاضطهاد ، ويعيد الغريب ، ثم ليجود على أيوب بالراحة الأبدية .

تلك رحلة السياب في الحياة .

يلعب المطر دوراً أساسياً في شعر السياب ، ويكاد يكون المحرك الرئيس في تجربته الشعرية ، على أنه يحمل إيحاءاتٍ ورموزاً متعددة تتشكل وفق مراحل تطور السياب الشعري. وقد أجمع النقاد على تقسيم تجربة السياب الشعرية إلى ثلاث مراحل ، هي على التوالي : مرحلة البدايات (الرومانسية) وتتمثل في ديواني البواكير، وأساطير وأزهار ذابلة .

ثم مرحلة الانتماء السياسي (اليساري) والاجتماعي والقومي وتسمى المرحلة التموزية ، وهي أنضج المراحل وأطولها ، وتتمثل في ديواني أنشودة المطر ، والمعبد الغريق .

وأخيراً مرحلة المرض والموت وتتمثل في ديواني شناشيل ابنة الجلبي ، ومنزل الأقنان . ويتخذ المطر في كل مرحلة من المراحل الثلاث معان ودلالات متنوعة ، ومتناقضة أيضاً تعمق الفكرة ، وتزيد التعبير قوة وجمالاً ، وتجسّد انفعالات الشاعر حتى ليستقبلها المتلقي بنفس الإحساس .

أولاً : مرحلة البدايات

بدأ السياب في الأربعينات – كغيره – شاعراً رومانسيا ً حالماً ، يخلق معشوقاً خيالياً ، يجلسه على الشط بين غابات النخيل والمروج الخضراء ، يناغيه مرة ويعاتبه مرة ، يثور عليه حيناً ويبكيه أحياناً ، ساعات من السعادة وأخرى من العذاب ، فرح اللقاء وألم الفراق ، حلم المراهقة تنظم النجوم والأقمار والنهار والغابات قلائد تُهدى لحبيب الروح .

ولعل هناك جملة عوامل خارجية وداخلية دفعت السياب الشاب للتحليق في الأجواء الرومانسية . فمن العوامل الخارجية :

• إن الجو الشعري لتلك الفترة كان يفوح بنكهة الرومانسية المتأثرة بالرومانسية الإنجليزية والفرنسة على يد شعراء مدرسة (أبولو) ، وكان أكثر الشعراء الشباب في الأربعينات يقتفون أثر علي محمود طه وإبراهيم ناجي وألياس أبو شبكة والشابي وغيرهم . والسياب هو أحد المتأثرين برومانسية شعراء (أبولو) ، ولا أدل على ذلك أنه بعث بمطولته (بين الروح والجسد) إلى الشاعر علي محمود طه(غير أن معظم أبيات المطولة قد ضاعت).

• هذا إضافة إلى اطلاعه على الأدب الأوربي من خلال قراءاته الذاتية ودراسته الجامعية للغة والأدب الإنجليزي، فقرأ لكبار الشعراء الرومانسيين الأوربيين مثل اللورد بايرون وشللي وكيتس ووردزورث (نبي الطبيعة) كما يلقبه أحد النقاد الإنجليز ، والذي أعجب السياب به كثيراً حتى أهداه أكثر من قصيدة ، بل إنه ترجم له ولبعض الرومانسيين الإنجليز ، وبعض الفرنسيين كهيجو ولامرتين وغيرهم .

ومن العوامل الداخلية – الذاتية :

• الفقر العاطفي في حياة السياب منذ طفولته ، فقد توفيت والدته وهو في السادسة من عمره ، وما لبث والده أن تزوج بأخرى وابتعد عن أولاده :

أبي منه قد جردتني النساء وأمي طواها الردى المعجلُ
وما لي من الدهر إلا رضاك فرحماك فالدهرُ لا يعدلُ

(خيالك : ديوان بواكير، ص ١٤٩)

فنشأ يبحث عن الحنان والحب ، ولما كانت بيئته الريفية بيئة محافظة، وشكله غير الوسيم ، لم يعرف السياب الحب المتبادل مع الجنس الآخر ، فاستعاض عنه بحبيبات من صنع الخيال . كتب مرة إلى صديقه الشاعر خالد الشواف يقول له :

(أأنت مثلي لا تعرف فتاة بعينها ؟ أأنت مثلي محروم من العاطفة ، لا يرى قلباً يخفق بحبه ؟ . . . مرت السنون وأنا أهفو إلى الحب ، ولكني لم أنل منه شيئاً ولم أعرفه) . (من مقدمة المجلد الثاني للمجموعة الكاملة، ص ٣٩)

ثم عرف الحب ؛ الحب الأحادي الجانب في علاقاته مع طالبات الكلية وكان حظه الفشل ، فقال يخاطب زوجته :

وما من عادتي نكرانُ ماضيِّ الذي كانا ،
ولكن . . كلُّ من أحببتُ قبلكِ ما أحبوني
و لا عطفوا عليّ .... (أحبيني : شناشيل أبنة الجلبي ، ص٦٣٩)

• إضافة إلى الوضع الاقتصادي المتردي للوطن العربي قبيل الحرب العالمية الثانية وبُعيدها ، ثم الحرب نفسها وما تركته في النفوس من قلق وألم ولوعة .

وبعد . . . أين يكمن المطر في بدايات شعر السياب ؟

لا شك أن مجاميعه الشعرية الأولى تسيطر عليها الأجواء الرومانسية ، وتتضخم المعاناة الفردية لتطغي على الهموم العامة ، ويأتي المطر – كعنصر من أهم عناصر الطبيعة عند الرومانسيين – مأوى يلجأ إليه العاشق المعذب من صدود حبيبته ليطفىء به شوقه وحنينه ، ويروي قلبه الصديان . إن الحب و المرأة و الطبيعة موضوعات أثيرة لدى الشعراء الرومانسيين ،

فالحبيبة الجافية التي ارتشف السياب العاشق من مقلتيها النجوم وعانق آماله الآيبة ، هي انشودة المنى ، أغنية الليالي الربيعية ، أناشيد من صداها يغفو الضياء على الزورق المنتظر . أجواء رومانسية تلعب الطبيعة دوراً في تشكيلها :

النجوم وضياء القمر ، وليالي الربيع ، والزورق المنتظر ، والأزهار الحالمة بالمطر ، والعاشق الحالم باللقاء . الأزهار تنتظر أن يوهبها المطر الحياة ، والعاشق ينتظر أن توهبه الحبيبة الحياة أيضا (وربما تأثير علي محمود طه واضح في مثل هذه الصور):

أأنتِ التي رددتها مناي أناشيدَ تحت ضياء القمرْ
تغني بها ليالي الربيع فتحلِمُ أزهارُه بالمطر
ويمضي صداها يهزّ الضياء ويغفو على الزورق المنتظر

(هوى واحد : ديوان أزهار وأساطير ، ص ٤٩)

وتزداد الصورة قتامة حين يقع الافتراق في الليل ، والليل يوقظ كل عذابات العاشقين وماذا بعد الفراق سوى الألم والضياع ، ويأتي المطر في تلك الليل المظلمة ليعمق الشعور بالعزلة ويزيد الإحساس بالضياع (١):

كالشاطىء المهجور قلبي ، لا وميضَ ولا شراع
في ليلة ظلماءَ بلّ فضاءَها المطرُ الثقيل –
لا صرخة اللقيا تطيف به ولا صمتَ الرحيل
يمناكِ والنورُ الضئيل . . . أكان ذاك هو الوداع ؟
بابٌ ، وظلُ يدين تفترقان – ثم هوى الستار

(ستار : ديوان أزهار وأساطير ، ص ٧٥)

بل يذهب السياب أبعد من ذلك حين يرى أن المطر لا يخفف معاناة المحب ، وأن السماء لاتسق العاشق المعنّى إلا العطش (وهي فكرة رومانسية أخرى)، ففي قصيدة (هل كان حباً؟) من ديوان (أزهار وأساطير) وهي أول قصيدة يكتبها السياب من الشعر الحديث (شعر التفعيلة) ، يقول :

هل تسمّين الذي ألقى هياما ؟
أم جنوناً بالأماني ؟ أم غراما؟
ما يكون الحبُ نوحا وابتساما؟
أم خفوقَ الأضلع الحرّى ، إذا حان التلاقي
بين عينيها ، فأطرقت ، فراراً باشتياقي
عن سماء ليس تسقيني إذا ما
جئتُها مستسقياً ، إلا أواما.

(هل كان حباً: أزهار وأساطير، ص ١٠١)

وهكذا كان المطر (الطبيعة الرومانسية) هو الذي عرفه السياب في بدايات تجربته الشعرية .

ثانياً : مرحلة الالتزام (المرحلة التموزية)

وينتقل السياب إلى بغداد طالباً في دار المعلمين العالية ، وينتظم بقسم اللغة الإنجليزية . إنها بغداد منتصف الأربعينات – وليست جيكور – تحبل بكل الصراعات السياسية والحزبية والفكرية والاجتماعية . وفي بغداد يتعرف السياب على مجموعة من الشباب العربي المثقف داخل دار المعلمين وخارجها . ويصبح عضواً بارزاً في الدار ، يساهم بقصائده في الاحتفالات والمهرجانات الطلابية ، ويشارك الشعب مظاهراته ، ويكتب في الصحف العراقية ، فأحسّ بالواقع المرير . لم تعد القضية قضية حبيبة تعذب حبيبها بالهجران ، صارت القضية أكبر : الاستعمار البريطاني ، الحكومات العميلة ، الوضع الاقتصادي المتردي لغالبية الشعب ، الفوارق الطبقية ، المأساة العالمية بعد الحرب ، معاناة الشعب الفلسطيني ، المقاومة الجزائرية ، العدوان الثلاثي . وبدأ احتضان الواقع بإدراك كبير ووعي ملتزم سياسياً واجتماعياً ، فراح يغني للثورة .

المطر في قصائده الملتزمة يحمل معان ودلالات متنوعة ، وشحنات إيحائية شديدة الدقة ، ورموزاً متنوعة ، بل وتبدو متناقضة تتعانق مع الأسطورة . للمطر صور متعددة ، فهو الذي ينشر الخير والخصب ، وهو الذي يعمق الشعور بالمأساة

الذاتية والاجتماعية ، وهو دلالة الارتباط بالأرض والناس ، وهو الدمار والخراب ، وهو الأمل – الأسطورة ، وهو بعد ذلك الثورة الحقيقية .

المطر عند القروي هو الخير والخصب ، هو الحياة ، وربما إحساس القروي بالمطر أكثر عمقا منه عند المدني . في قصيدة (أنشودة المطر) وهي من أكثر قصائد السياب غنىً ، فاطلقها عنواناً على مجموعته الشعرية (ديوان أنشودة المطر) الذي ضم أكثر قصائده التزاماً، إضافة إلى مطولاته الثلاث (المومس العمياء، حفار القبور، الأسلحة والأطفال).

(الصور المتنوعة للمطر) ديوان أنشودة المطر

(أنشودة المطر) نظمها الشاعر من وحي أيام الضياع في الكويت – كما يقول السياب نفسه– حين فُصل من عمله وراح يبحث عن عمل في الكويت سنة ١٩٥٤ .

(١) تبدأ القصيدة بمقدمة حزينة تتشكل من صور تعكس حنين الشاعر في الغربة لوطنه : (نأي القمر ، المجداف الواهن ، الضباب والأسى الشفيف، ارتعاشة الخريف ، رعشة البكاء) بل أن المفردات المعبرة عن الحزن والأسى تشيع في كل مقاطع القصيدة (النشيج ، الجوع ، الردى ، الدم ، الموتى . . . الخ) .

(٢) ثم يأتي المطر ليعمق الإحساس بالحزن من جهة، وليعطي إيقاعاً في تكرار لفظة(مطر) عشرين مرة في القصيدة تتساوق مع هطول المطر، إنها فعلا أنشودة المطر

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحر

أو شُرفتان راح ينأى عنهما القمر

عيناك حين تبسمان تورقُ الكروم

وترقصُ الأضواءُ . . كالأقمار في نهر

يرجّه المجدافُ وهناً ساعةَ السحر

(٣) ويثير هطول المطر في نفسه وهو في الغربة كل الذكريات ، فتتفجر شحنا الشوق والحنين للقرية ، للوطن ، لكل جمال الطبيعة العراقية – لا بالمعنى الرومانسي للصور الذاتية – بل تتوحد صور التعبير عن المعاناة الذاتية للشاعر مع المعاناة الجماعية للمجتمع أو مع المسحوقين من أفراد المجتمع ، ويكون المطر الشاهد على الصور المأساوية التي يرسمها الشاعر ، وهو بعد ذلك الأمل القادم . . واهب الحياة :

كأن أقواسَ السحابِ تشربُ الغيومْ

وقطرة فقطرة تذوبُ في المطر . . .

وكركرَ الأطفالُ في عرائش الكروم ،

ودغدغتْ صمتَ العصافير على الشجر

أنشودة المطر . . .

مطر . . .

مطر . . .

مطر . . .

(٤) وتبدأ أنشودة المطر بالعزف ؛ أولا على أوتار المعاناة الذاتية للشاعر :

كأن طفلاً بات يهذي قبل أن ينام :

بأن أمَه – التي أفاق منذ عام

فلم يجدها ، ثم حين لجّ بالسؤال

قالوا له : " بعد غدٍ تعودْ . . . "

لابدّ أن تعودْ

وإنْ تهامس الرفاقُ أنّها هناكْ

في جانب التلِ تنامُ نومةَ اللحودْ
تسِّفُ من ترابها وتشربُ المطر

(٥) وهو (المطر) بالنسبة للشاعر المغترب كراهية – لا طوعاً – يزيده شعوراً بالغربة والضياع والوحدة . يقول بودلير : " عندما تنهمر الأمطار وتهطل هطولاً مستمراً بما يماثل قضبان سجن كبير لا حد له " إنه الحزن الذي يبعثه المطر في ذات الشاعر :

أتعلمينَ أيَّ حزنٍ يبعثُ المطر ؟
وكيف تنشجُ المزاريبُ إذا انهمر ؟
وكيف يشعرُ الوحيدُ فيه بالضياع ؟
بلا انتهاء – كالدمِ المراق ، كالجياع
كالحبِ ، كالأطفالِ ، كالموتى – هو المطر ؟

(٦) لكن المعاناة أكبر من كونها شخصية – وإن كانت هي جزء لا ينفصل عن المعاناة الجماعية – إ ذ ليس فقط أم الشاعر (تسف من ترابها وتشرب المطر) ، بل كل المسحوقين في بلده يأنّون من واقع مرير ، فهم يفنون العمر كداً ولا يحصدون سوى الجوع :

كأن صياداً حزيناً بات يجمعُ الشباك
ويلعنُ المياهَ والقدر
وينثرُ الغناءَ حين يأفلُ القمر
مطر . . .
مطر . . .

(٧) وتكبر الدائرة لتصير عواصف الخليج ومقاوموه بالمجاذيف والقلوع في رحلاتهم المضنية بحثا عن اللؤلؤ يئنون منشدين . . مطر . . . مطر ، ثم لا يكون مصيرهم سوى الموت أو الجوع :

أصيح بالخليج : " يا خليج
يا واهبَ اللؤلؤ ، والمحار والردى
فيرجعُ الصدى
كأنه النشيج :
يا خليج
يا واهب المحار والردى . . . "

(٨) وفي الحالات الثلاث يكون المطر هو الشاهد على المأساة ، رغم أنه هو الخصب الذي يجب أن يعم خيره الجميع . فحين تعزف الرعود في السماء ، ويومض البرق ، ويهطل المطر المدرار ، يستبشر الناس بالخير ، لكن هذا الخير لا يعم الجميع ، فالغربان تأكل كل الغلال ، والغربان هم المنتفعون والسماسرة والإقطاع من ذوي السلطة ، المترفون على حساب الملايين الفقيرة :

أكاد أسمعُ النخيلَ يشربُ المطر
وأسمعُ القرى تأنُّ . . .
. . . .
وينثرُ الغلالَ فيه موسمُ الحصادْ
لتشبعَ الغربانُ والجرادْ
وتطحنَ الشوانَ والحجرْ
رحىً تدور في الحقول . . . حولها بشر

(٩) إن صورة الخير والشر صورة قديمة انطبعت في ذهن الشاعر ، المطر الذي يحمل الخير ويعشب الأرض ، يقابلها جوع الملايين ، صورة اختزنتها ذاكرة الشاعر منذ الطفولة :

ومنذ أن كنا صغاراً ، كانت السماء
تغيمُ في الشتاء ،
ويهطلُ المطر ،
وكلُ عام – حين يعشبُ الثرى – نجوع
ما مرّ عامٌ والعراقُ ليس فيه جوع .

(١٠) لكن رغم كل تلك الصور المأساوية الحزينة ينهي الشاعر قصيدته بالأمل في مجيء الثورة ، رامزاً لها بهطول المطر . ولعل بين المطر والثورة ترابطاً وثيقاً ، إذ كلاهما يحملان عنصر الخير والحياة :

في كلِّ قطرةٍ من المطر
حمراءَ أو صفراءَ من أجنةِ الزهر
وكل دمعةٍ من الجياع والعراة
وكلِّ قطرةٍ تراقُ من دم العبيد
فهي ابتسامٌ في انتظار مبسم جديد
أو حُلمة تورّدت على فم الوليد
في عالَم الغدِ الفتي ، واهبِ الحياة .
ويهطل المطر

(١١) غير أن هذا الأمل ، المطر الخير والخصب والحياة لا يمكن أن يأتي دون القرابين، دون الفداء. والمضطهدون عليهم – ليس مجرد المطالبة بحقوقهم– بل انتزاعه بالقوة ، بالدماء ، بالتضحية . في قصيدة (إلى جميلة بوحيرد) البطلة الجزائرية ، يعرض الشاعر استعباد الآلهة الأصنام للبشر رمزاً لاستعباد الطغاة للشعب . كان الناس قديماً يلتمسون آلهتهم ويقدمون لها القرابين :

" يا ربّ عطشى نحن . هات المطر !
روِّ العطاشى منه ، روِّ الشجر "

غير أن محفل الآلهة قد ولّى اليوم ، وتحطمت بالدماء كل التيجان، فجميلة البطلة – لا عشتار الإله – سوف تروّي بالمطر قلوب الفقراء :

واليومَ ولى محفلُ الآلهة
اليومَ يُفدي ثائرٌ بالدماء
الشيبَ والشبانَ ، يُفدي النساء
يُفدي زروعَ الحقل ، يُفدي النماء

عشتار ، أمّ الخصبِ ، والحبُ والإحسان ، تلك الربّة الوالهة لم تُعطِ ما أعطيتِ ، لم تَرْوِ بالأمطار ما رويّتِ : قلبَ الفقير .